بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على أفصح العرب لسانا وأبلغهم حجة خير من نطق بلغة الضاد محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه الأخيار.. أما بعد..

فإن القرآن الكريم يعد من أوثق النصوص العربية وأسماها فصاحة وبلاغة وأكثرها ضبطا ودقة، إذ أن جميع العلوم تعود إليه، فهو حافظ أبد الدهر أصول العربية، كما هي حافظة بمعانيه ومدلولاته وإعجازه وجمال الأسلوب فيه، لذلك كانت العربية رديفا للآيات البينات، شرفها الله ﷻ بإرسال دستوره مبينا بها، كما قال ﷻ ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾[1].

وقد شرفني الباري ﷻ بدراسة هذه اللغة الكريمة في الدراسة الأولية، وواصلت -بفضل الله- طريقي في دراسة الماجستير، فكانت رسالتي لغوية، ومن أجل استكمال ما فاتني في دراسة الماجستير، وقع اختياري على موضوع لدراسة الدكتوراه يغلب عليه الجانب النحوي واللغوي فكان الموضوع هو ((الدراسات النحوية واللغوية في كتاب النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام لابن المستوفي (ت 637هـ))، والذي أشار به علي الأستاذ الدكتور محمود جاسم الدرويش، وأقرني عليه الأساتذة الأفاضل في قسم اللغة العربية.

وبعد ذلك قبلت نفسي دراسة هذا الكتاب لأسباب كثيرة منها:

1- إن هذا الكتاب يتناول شرح شعر شاعرين كبيرين في الشعر العربي، بل هما أعظم نهدين فيه، وهما أبو تمام وأبو الطيب.

---

(1) سورة الشعراء:192-195.

2. المعرفة اللغوية والأدبية لابن المستوفي، في فهم شعر الشاعرين.
3. ضخامة الكتاب من حيث عدد أجزائه، إذ بلغت الأجزاء المطبوعة أحد عشر، وقد حصلت عليها جميعا ولله المنة والفضل، أما بقية الأجزاء فما زالت غير مطبوعة، مما جعلني أواجه صعوبة كبيرة في الحصول على هذه الأجزاء، ولكني من خلال السؤال تمكنت من العثور على منزل الدكتور خلف رشيد نعمان محقق الكتاب، الذي ساعدني مشكورا على جرد المادة النحوية واللغوية من خلال مراجعة منزله لمدة طويلة، حتى اكتملت لي المادة النحوية واللغوية.
4. مدح العلماء له والثناء عليه، إذ قيل بحقه: (شمس إربل وبدرها، وعالمها البارع وصدرها، وفخر أمثالها وجمال أفاضلها)، وقيل أيضا: (اللغوي النحوي المحدث الكاتب المؤرخ الثقة..).
5. ضخامة المادة اللغوية والنحوية في كتابه، إذ حوت مادته على علوم الصوت والصرف والنحو والدلالة وغيرها.

ومن هنا كان اختياري هذا الموضوع عنوانا لأطروحتي، فتوكلت على الله ﷻ بجرد المسائل النحوية واللغوية التي تضمنها الكتاب، ثم اقتصرت على عدد من المسائل البارزة فيه؛ لأجعلها مادة في الدراسة التي توزعت على خمسة فصول وتمهيد اتبعتها بخاتمة، تضمنت نتائج البحث المتوصل إليها.

ففي التمهيد تناولت اسم المؤلف، ونسبه، وأهم شيوخه وتلاميذه، ثم تحدثت عن الكتاب مبيّناً منهجه، وأهميته وسبب تأليفه، ثم ختمت التمهيد بأهم الموارد التي أخذ ابن المستوفي منها مادته اللغوية والنحوية، من شخصيات وكتب.

وجاء الفصل الأول لبيان موقفه من أدلة الصناعة اللغوية والنحوية، إذ بينا أصوله النحوية، وهي: السماع (القرآن الكريم، والقراءات القرآنية، والحديث النبوي الشريف، والشعر والنثر)، والقياس والإجماع.

وبحث الفصل الثاني عن المسائل الصوتية مثل: الإبدال والإعلال والقلب المكاني، وكشف الفصل الثالث عن المسائل الصرفية التي شكّلت المادة الصرفية مثل: أبنية الأسماء وأبنية الأفعال إذ تناولت فيها أبنية الجموع والنسب والتصغير، وتناوله مسألة التذكير والتأنيث.

وجاء الفصل الرابع بخمسة مباحث نحوية، الأول: موقفه من الخلاف النحوي إذ ذكرت موقفه من المدرستين البصرية والكوفية، والثاني: موقفه من المصطلح النحوي إذ ذكرت المصطلحات النحوية البصرية والكوفية، والثالث: موقفه من التأويل النحوي من زيادة وحذف وتضمين واحتمال أكثر من وجه إعرابي، المبحث الخامس ليتناول مسائل نحوية متفرقة مثل: مسألة عود الضمير، وأثر الرواية في الإعراب، وتعلق حرف الجر، والممنوع من الصرف وغيرها.

وعمد الفصل الخامس لبيان الدلالة عند ابن المستوفي، فبين لنا دلالة الألفاظ من خلال الترادف والمشترك اللفظي والأضداد والمعرب والاشتقاق والضد والخلاف، والعلاقات الدلالية بين الألفاظ من خلال الاستعارة والتشبيه والتورية، وأتبعته بموقفه من حركة الإصلاح اللغوي من خلال ضبط الألفاظ بالحركة والتصحيف والنقد اللغوي.

وأتبعت فصول البحث بخاتمة لأهم النتائج التي توصلت إليها من وراء هذا الدرس النحوي واللغوي.

وقد أقيمت الرسالة على كتب مهمة ومتنوعة بعلم وافر، فضلا عن مادة الكتاب العلمية، ولعل أبرزها كتب النحو، ولاسيما كتاب سيبويه (ت 180هـ)، والمقتضب للمبرد (ت 285هـ)، والأصول لابن السراج (ت 316هـ)، ومغني اللبيب لابن هشام الأنصاري (ت 761هـ)، وكتب اللغة مثل أدب الكاتب لابن قتيبة (ت 276هـ)، وإصلاح المنطق لابن السكيت (ت 244هـ)، والزاهر لأبي بكر الأنباري (ت 328هـ)، والخصائص لابن جني (ت 392هـ)، والمخصص لابن سيده (ت 458هـ)، والمزهر للسيوطي (ت 911هـ)، والمعجمات العربية مثل العين للخليل (ت 175هـ)، وتهذيب اللغة للأزهري (ت 370هـ)، والصحاح للجوهري (ت 398هـ)، ولسان العرب لابن منظور (ت 711هـ)، وكتب المذكر والمؤنث مثل

كتاب المذكر والمؤنث لأبي بكر بن الأنباري والمذكر والمؤنث لابن التستري (ت 361هـ)، وكتب الاضداد مثل كتاب الأضداد للأصمعي (ت 216هـ)، وكتاب الأضداد لابن السكيت، وكتب الأبدال مثل كتاب الأبدال لأبي الطيب اللغوي (ت 351هـ)، والكتب التي عرضت المسائل الخلافية مثل الإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري (ت 577هـ)، وكتب الأمثال العربية مثل: كتاب مجمع الأمثال للميداني (ت 518هـ)، وكتاب المستقصى للزمخشري (ت 538هـ)، وكتب التراجم مثل كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان (ت 681هـ)، وبغية الوعاة للسيوطي.

وعولت أيضا على كتب معاني القرآن وإعرابه، مثل: معاني القرآن للفراء (ت 207هـ)، ومعاني القرآن للأخفش (ت 215هـ)، وإعراب القرآن للنحاس (ت 338هـ).

وعولت أيضا على كتب القراءات القرآنية، مثل: كتاب الحجة في القراءات السبع لابن خالويه (ت 370هـ)، وكتب التفسير، مثل: الكشاف للزمخشري، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ت 671هـ)، والبحر المحيط لأبي حيان (ت 745هـ)، واستعنت أيضا بكتب الحديث النبوي الشريف مثل: مسند أحمد (ت 241هـ)، وصحيح مسلم (ت 261هـ).

واستعنت أيضا بالكتب النحوية واللغوية للمعاصرين وانتفعت أيضا بمجموعة من المقالات والبحوث المنشورة في المجلات والدوريات.

ومن هذا المقام، وعرفانا بفضل الله ﷻ علينا أن أتقدم بخالص شكري وامتناني إلى الأيادي الكريمة التي تركت لمساتها على البحث وأوقفته على قدميه، الأستاذة ندى عبد الرحمن الشايع التي أوسعتني بوقتها وجهدها من خلال ترصيعها البحث بالملاحظات القيّمة، وأتقدم بوافر شكري وامتناني إلى أساتذتي في قسم اللغة العربية الذين نهلت من علمهم في السنة التحضيرية، فلهم مني أجزل الشكر والامتنان، كما أشكر كل ذي فضل عليّ.

وبعد.. فهذا جهدي في الأطروحة، ولست زاعما أني قد وفّيت ابـن المـستوفي حقه، لكونه عالما جليلا وكتابه غني بالمادة النحوية واللغوية، ولكني أرجو أن أكون قد أنصفت الرجل حقه في جهده النحوي واللغوي في كتاب النظام.

وحسبي أني أخلصت النية لله ﷻ، وبذلت من الجهد ما استطعت في ظل هـذه الظروف الحرجة التي يمر بها بلدنا العزيز، فرج الله عنه الشدة، فإن كان عملي صوابا فصواب هديا إليه من الله ﷻ، وحسبنا أننا طاقات بشرية تنشد الكمـال، والكمـال لله ﷻ، وإن كان العمل خطأ فسبحان من لا يخطئ (كل ابن آدم خطّاء، وخير الخطّـائين التوابون)، كما قال الرسول ﷺ.

والله أسأل أن يوفقنا لخدمة كتابه الكريم، وصلوات من الله وسلامه على سـيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين....

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

حليم
2005